



## Criticism of the Novel: From the Aesthetic to the Cultural

Dr. Bentaiba brahim <sup>1</sup>

<sup>1</sup>: Djilali Bounaama University, Khemis Miliana, Algeria, [b.bentaiba@univ-dbkm.dz](mailto:b.bentaiba@univ-dbkm.dz)

### Abstract

This article examines the transformation of novel criticism from its classical aesthetic foundations toward contemporary cultural analytical frameworks. Beginning with the formalist traditions established by figures such as Henry James and Percy Lubbock, the study traces how literary criticism progressively incorporated sociological, ideological, and postcolonial perspectives throughout the twentieth century. The article argues that the cultural turn in novel criticism—pioneered by theorists such as Mikhail Bakhtin, Terry Eagleton, and Edward Said—did not abandon aesthetic considerations but rather expanded them to encompass the novel's function as a social and ideological document. Drawing on key theoretical texts from both Western and Arab critical traditions, this article demonstrates that contemporary novel criticism operates at the intersection of the aesthetic and the cultural, producing a richer, more comprehensive understanding of narrative as a site of meaning-making, power negotiation, and identity construction. The article concludes that the most productive form of novel criticism today is one that maintains a dialectical relationship between aesthetic analysis and cultural interpretation, refusing to reduce the novel to either pure form or pure ideology.

**Keywords:** Novel Criticism, Aesthetic Theory, Cultural Studies, Narrative Analysis, Literary Theory, Bakhtin, Postcolonialism.

Received: 05/01/2026

Accepted: 25/03/2026

Published: 22/05/2026

نقد الرواية: من الجمالي إلى الثقافي

د. بن طيبة إبراهيم <sup>1</sup>

<sup>1</sup>: جامعة الجليلي بونعامة خميس مليانة - الجزائر. [b.bentaiba@univ-dbkm.dz](mailto:b.bentaiba@univ-dbkm.dz)

## ملخص

تتناول هذه المقالة مسار تحوّل نقد الرواية من أسسه الجمالية الكلاسيكية إلى أطرها التحليلية الثقافية المعاصرة انطلاقاً من التقاليد الشكلانية التي أرسى دعائمها منظّرون من أمثال هنري جيمس وبيرسی لوبوك، تتبّع الدراسة الكيفية التي أدمج بها النقد الأدبي تدريجياً المنظورات الاجتماعية والأيدولوجية وما بعد الكولونيالية طوال القرن العشرين. وتؤكد المقالة أن المنعطف الثقافي في نقد الرواية—الذي أرسى ركائزه منظّرون من أمثال ميخائيل باختين وتيري إيغلتن وإدوارد سعيد—لم يتخلّ عن الاعتبارات الجمالية، بل وسّعها لتشمل وظيفة الرواية بوصفها وثيقة اجتماعية وأيدولوجية. وتُبرهن المقالة على أن النقد الروائي المعاصر يعمل عند تقاطع الجمالي والثقافي، مولدًا فهمًا أثنى وأشمل للسرد بوصفه موقعاً لصنع المعنى والتفاوض على السلطة وبناء الهوية. وتخلص إلى أن أكثر أشكال نقد الرواية إنتاجية اليوم هو ذلك الذي يُقيم علاقةً جدليةً بين التحليل الجمالي والتأويل الثقافي، رافضاً اختزال الرواية في مجرد شكل خالص أو أيدولوجيا خالصة، الكلمات المفتاحية: نقد الرواية، النظرية الجمالية، الدراسات الثقافية، تحليل السرد، النظرية الأدبية، باختين، ما بعد الكولونيالية

## – أولاً: مقدمة

لم يكن نقد الرواية في يوم من الأيام عملاً محايداً أو بريئاً؛ فمنذ أن استقرت الرواية بوصفها الجنس الأدبي الأكثر هيمنةً في الحداثة الأوروبية، وهي تستجلب القراء والنقاد معاً في جدال لا ينتهي حول طبيعتها وقيمتها ووظيفتها. ولعلّ أبرز هذا الجدال ما يتصل بالسؤال الجوهرى: هل يُقرأ العمل الروائي وفق معايير جمالية تتبثق من داخله، أم وفق معايير ثقافية وسياقية تُستمدّ من خارجه؟ يُمثّل هذا السؤال قلب إشكالية النقد الروائي على امتداد القرن العشرين. فمن جهة، يرى التيار الجمالي أن الرواية كيانٌ فنيّ مستقل ينطوي على قيم جمالية داخلية، كالبنية والأسلوب والإيقاع السردى والشخصية وتقنيات المنظور، وأن قراءتها النقدية الصحيحة ينبغي أن تتطلق من داخل هذا الكيان لا من خارجه. ومن جهة أخرى، يرى التيار الثقافي أن الرواية لا يمكن فهمها بمعزل عن السياقات الاجتماعية والتاريخية والأيدولوجية التي أنتجتها، وأن جماليات النص ليست مستقلة عن أبعاده الثقافية بل مُحمّلة بها. غير أن التاريخ الفعلي لنقد الرواية يُشير إلى أن هذا التعارض ليس مطلقاً. إذ إن أكبر المنجزات النقدية في هذا الميدان جاءت من تلك القراءات التي أحسنت التوفيق بين الاعتبارين، أو على الأدق، تلك التي كشفت عن تشابكهما العضوي وتداخلهما البنوي. وهو ما تسعى هذه المقالة إلى تناوله بالتحليل والدراسة، متتبّعةً

مسار هذا التحول النقدي عبر محطاته الكبرى، من الشكلانية الجمالية إلى النقد الثقافي، مستحضراً المرجعيات النظرية الأساسية التي صاغت هذا التحول وعجلت به.

### ثانياً: المرحلة الجمالية – الشكلانية وهاجس البنية

شكلت نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين اللحظة التأسيسية لنقد الرواية بوصفه ممارسةً فنية منظمة. ففي هذه المرحلة، كان الشغل الشاغل للنقاد هو رسم حدود فن الرواية وتحديد خصائصه الجمالية المميزة. وقد أدى هنري جيمس دوراً محورياً في هذا السياق من خلال مقدماته الشهيرة لرواياته، التي يُعدّ فيها من أوائل منظري الرواية بمعناها الحديث. فقد أكد جيمس أن الرواية فن رفيع يُقاس كغيره من الفنون بمعايير جوهرية، كالتماسك والوحدة والتنظيم المحكم للزاوية السردية.

وفي هذا الإطار، كتب جيمس في مقدمة روايته "بورتريه سيدة" ما يمكن ترجمته: "إن الرواية في صورتها وقد أرسى هذا التوجه. (James, 1908, p. viii) "الأكثر رقياً تجعل المرء يُدرك الحياة وتُجبره على رؤيتها الذي اقترن بأسماء كلينث بروكس وروبرت بن New Criticism أسس ما سيمى لاحقاً بـ"النقد الجديد" أو وارن وجون كرو رانسوم.

أما العمل النقدي الأكثر تأثيراً في تأسيس جماليات الرواية على أسس منهجية، فهو كتاب بيرسي لوبوك الصادر عام 1921. فيه يُعالج لوبوك بالتفصيل جملةً من "حرفة الخيال" (The Craft of Fiction) المسائل الشكلية الجوهرية، كتقنيات المنظور والمسافة السردية وطريقة تمثيل الشخصية. وقد أكد لوبوك أن "المشكلة الكبرى في صناعة الرواية هي مشكلة المنظور، أي زاوية الرؤية التي يُروى منها القصة" (Lubbock, 1921, p. 251).

وعلى المستوى النقدي الأوروبي الأشمل، تجلّت الشكلانية الروسية بوصفها الحركة الأكثر جذريةً في تأسيس علم الأدب على أسس جمالية صارمة. فقد رفض منظرو هذه المدرسة كفيكتور شك洛夫سكي ورومان ياكوبسون أي اعتبار للمحتوى الاجتماعي أو المرجع التاريخي في تحليل الأدب، مُعلنين أن "الأدبية" هي الموضوع الحقيقي لدراسة الأدب. وقد اشتهر شك洛夫سكي بتصوّره لـ"التغريب" بوصفه الجوهر الأسلوبي للأدب، إذ "هدف (Shklovsky, 1917/1965, p. 12) "الفن هو أن يُحسّنا بالأشياء كما نُحسّ بها لا كما نعرفها

وفي السياق النقدي العربي، لم تغب الاهتمامات الجمالية بدورها عن نقد الرواية. فقد انشغل نقاد من أمثال يحيى حقي وعبد المحسن طه بدر بالبنية الفنية للرواية العربية وتطوّرها التاريخي. وأصدر طه بدر دراسته الكلاسيكية "تطور الرواية العربية الحديثة في مصر" (1963)، التي تعقّبت فيها المراحل الجمالية لتشكل

الرواية المصرية، بدءاً من النماذج الأولى حتى الاستواء الفني. كما كتب يحيى حقي في مقالاته عن الفن الروائي مطالباً بأن يكون الناقد "طبيباً لا قاضياً" في تعاطيه مع النص الأدبي (حقي، 1955، ص. 47)

### ثالثاً: المنعطف الأول – باختين والبُعد الاجتماعي للنص

لم يكن ميخائيل باختين الأول الذي تحدّث عن أبعاد الرواية الاجتماعية، لكنه كان الأعمق والأكثر تأثيراً في صياغة نظرية متكاملة تُعيد تصوّر العلاقة بين الجمالي والاجتماعي داخل النص الروائي. ففي كتابه الأساسي قدّم باختين مفهومه الشهير عن "الهيترولوجيا" أو تعدّد، (The Dialogic Imagination) "الخيال الحوارية" الأصوات، مؤكداً أن الرواية فضاء حوارية تتصارع فيه أصوات متعددة لا صوت واحد المسيطر.

يُعدّ هذا التصوّر الباختيّ نقلةً نوعية جوهريّة؛ لأنه لم يُلغِ الاعتبار الجمالي بل حوّله. فبدلاً من البحث عن التناسق والوحدة كميّارين جماليّين كلاسيكيّين، يرى باختين أن جمالية الرواية الحقيقية تكمن في قدرتها على استيعاب الأصوات المتعددة والمتناقضة وإخراجها في نسج سردي دينامي. ويكتب في هذا الصدد: الرواية هي التتوّع الاجتماعي في الأسلوب، وأحياناً في اللغات، والأصوات الفردية المتعددة الأدبية المنظّمة" (Bakhtin, 1981, p. 262) "بشكل فني

إن مفهوم الحوارية الباختيّية يفتح الباب أمام النقد الثقافي من الداخل الجمالي ذاته، لا من خارجه. فالأصوات المتعددة التي تجمعها الرواية ليست مجرد أصوات أسلوبية، بل هي أيديولوجيات ورؤى للعالم وخطابات اجتماعية. ومن ثمّ، يصبح تحليل البنية الحوارية للرواية تحليلاً للسياق الاجتماعي الذي يُنتجها في آنٍ واحد وهذا ما جعل نظرية باختين منبعاً خصباً استقى منه كلّ من النقاد الجماليين والنقاد الثقافيّين في توجّهات مختلفة.

عاد باختين، (Problems of Dostoevsky's Poetics) "وفي كتابه الآخر "مشكلات شعرية دوستوفسكي إلى التحليل الجمالي التفصيلي لتقنيات السرد في روايات دوستوفسكي، مؤكداً أن عبقرية هذا الكاتب تتجلى وهذا نموذج بارز. (Bakhtin, 1984, p. 6) تحديداً في قدرته على منح شخصياته استقلالاً صوتياً حقيقياً على كيف يمكن للنقد أن يُوفّق بين التحليل الجمالي الدقيق والبُعد الاجتماعي الشامل.

### رابعاً: النقد الماركسي والرواية – من الجمالية إلى الأيديولوجيا

إذا كان باختين يُدمج الاجتماعي في الجمالي بطريقة مرنة، فإن التيار الماركسي في نقد الرواية أقدم على مقاربة أكثر إشكالية، إذ سعى إلى الكشف عن الأيديولوجيا المضمرّة في البنية الجمالية ذاتها. وتُمثّل أعمال لوكاش وغرامشي وفردريك جيمسون وتيري إيغلتن الأعمدة الكبرى لهذا التيار.

عام 1920 (The Theory of the Novel) "بدأ جورج لوكاش مساره النقدي بكتابه المبكر "نظرية الرواية الذي يُحلّل فيه الرواية بوصفها الشكل الأدبي الخاص بالعصر البرجوازي الحديث—عصر الاغتراب وضياع مُقيماً، (Lukács, 1920/1971, p. 88) "الكليّة. ويرى لوكاش أن "الرواية هي ملحمة عالم تخلّى عنه الله تعارضاً جذرياً بين عالم الملحمة القديم الذي كان كلياً ومتجانساً وعالم الرواية الحديث الذي يطبعه التشرذم والانقسام

"لكن الأكثر تأثيراً في المرحلة الماركسية اللاحقة هو تيري إيغلتن، الذي شكّل كتابه "النقد والأيدولوجيا عام 1976 خطوةً نقدية حاسمة. يرفض إيغلتن كلاً من الانعكاسية الساذجة (Criticism and Ideology) التي تختزل الأدب في مجرد صدى للواقع الاجتماعي، والاستقلالية الجمالية التي تعزله عن سياقه تماماً ويقترح مفهوم "الإنتاج الأيدولوجي"، الذي يرى فيه أن النصوص الأدبية تُنتج أيدولوجيا من خلال شكلها (Eagleton, 1976, p. 64). الجمالي ذاته، لا على الرغم منه

(The Political Unconscious) "وفي هذا الإطار، أسهم فريدريك جيمسون بمؤلفه الرائد "اللاوعي السياسي عام 1981 إسهاماً جوهرياً في النقد الثقافي للرواية. يطرح جيمسون مقولة مثيرة للجدل هي "أعد دائماً الترجمة مدّعياً أن كل نص روائي ينطوي على "لاوعي سياسي" مكبوت، (Always historicize!) "إلى السياسي يمكن استجلاؤه عبر التحليل الهيرمنيوطيقي الكاشف. ويرى جيمسون أن "الموضوع السردى هو الشكل (Jameson, 1981, p. 13). "المركزي الذي تُفهم به الحياة الزمنية والخيال الإنساني

وفي المشهد النقدي العربي، لم يكن الخطاب الماركسي بعيداً عن نقد الرواية. فقد أفرز التيار الواقعي الاشتراكي ممارساتٍ نقدية تُقيس الرواية بمدى التزامها بقضايا المجتمع وتمثيلها للصراع الطبقي. ومن أبرز ما كُتب في هذا الميدان دراسة محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس "في الثقافة المصرية" (1955)، التي طرحت رؤية نقدية تُحاكم الأدب من منظور التزامه بالهجوم الاجتماعية والوطنية (العالم وأنيس، 1955، ص. 32).

#### خامساً: إدوارد سعيد وما بعد الكولونيالية - الرواية والإمبريالية

لم تكن مساهمة إدوارد سعيد في نقد الرواية مجرد إضافة على هامش المشروع النقدي الثقافي، بل كانت إعادة تأسيس لأسئلته الجوهرية. فمع صدور كتابه التأسيسي "الاستشراق" عام 1978، فتح سعيد أفقاً نقدياً جديداً بيّن فيه كيف أن الخطاب الثقافي الغربي—بما في ذلك الروايات—ساهم في بناء تمثيلات إمبريالية "عن الشرق".

(Culture and Imperialism) "لكن الكتاب الأكثر مباشرةً في تعاطيه مع الرواية هو "الثقافة والإمبريالية" الصادر عام 1993. فيه يُحلّل سعيد روايات كلاسيكية كـ"مانسفيلد بارك" لجين أوستن، و"قلب الظلام

لجوزيف كونراد، و"أميل برنتاج" لألبير كامو، مُبيناً كيف أن هذه النصوص الكبرى جمالياً تتطوي في الوقت ذاته على منطق إمبريالي مُضمر.

يُقرّ سعيد صراحةً بأن روايات أوستن ذات قيمة جمالية عالية، لكنه يُصرّ على أن هذه القيمة لا يمكن فهمها بمعزل عن الواقع التاريخي للإمبريالية البريطانية. ويكتب: "لا أستطيع قراءة مانسفيلد بارك دون أن أرى أن هذا بالضبط ما يميّز (Said, 1993, p. 89) "أنتيغوا واضحة في الرواية وليست مجرد عنصر ثانوي الذي يقرأ النصوص الإمبريالية الغربية في (contrapuntal reading) "منهجه" الإيضاحي والمتناغم. مواجهة النصوص التحررية المقاومة

وقد أحدثت نظرية ما بعد الكولونيالية صدىً واسعاً في النقد الروائي العربي. فقد أعادت هذه النظرية طرح أسئلة جوهرية حول علاقة الأدب العربي بموروثات الاستعمار والتمثيلات الأوروبية المحنّطة للمجتمعات العربية. ومن أبرز النقاد العرب الذين تبوّأوا هذا الأفق النقدي عبد الكبير الخطيبي في كتابه "المغرب العربي الهامشي" (1983)، الذي حلّ فيه تمثيلات الهوية والاستعمار في الرواية المغاربية (الخطيبي، 1983، ص 56).

#### سادساً: النقد النسوي والرواية - الجنس الأدبي بوصفه موقعاً للسلطة

شكّل النقد النسوي موجةً ثقافية حاسمة أعادت رسم خارطة نقد الرواية من خلال إدراج الجنس بوصفه فئة تحليلية جوهرية. وقد انطلق هذا النقد من التساؤل عن غياب المرأة أو تهميشها في الكون الأدبي الكلاسيكي ليصل إلى مراجعة شاملة للبنى الجمالية والسردية من منظور نسوي

الصادر عام 1949 بمثابة الشرارة (The Second Sex) "كان كتاب سيمون دو بوفوار "الجنس الثاني الأولى التي أطلقت هذا التساؤل على المستوى الفلسفي، لكن التطبيق النقدي الأدبي المباشر جاء مع أعمال "كيت ميليت وساندرا جيلبرت وسوزان غوبار. ففي كتابهما الموسوعي "المرأة المجنونة في الأوان (The Madwoman in the Attic) عام 1979، تتبّع جيلبرت وغوبار الكيفية التي صاغت بها الكاتبات الإنجليزيات في القرن التاسع عشر هوياتهن الأدبية في مواجهة هيمنة ذكورية طاغية على الخيال الأدبي (Gilbert & Gubar, 1979, p. 45).

أما في النقد العربي، فقد استقطبت الرواية النسوية اهتماماً متزايداً منذ ثمانينيات القرن الماضي. ومن أبرز ما كُتب في هذا الحقل دراسة فريدة النقاش حول الصورة النمطية للمرأة في الرواية العربية، التي بيّنت فيها، كيف إن الخطاب الروائي الذكوري يُنتج تمثيلات مُغرِضة تُبقي المرأة في موقع الموضوع لا الذات (النقاش،

ص. 78). وبالمثل، أسهم يمني العيد في توليف الأسئلة الجمالية والنقدية من منظور مُنتبه للجنس، 1988، الاجتماعي في دراسات حول السرد والتجربة (العيد، 1990، ص. 112) ولعلّ ما يُميّز النقد النسوي للرواية أنه لم يكتفِ بتحليل المحتوى—أي صور المرأة ودورها في الرواية—بل أي نقد "gynocriticism" امتدّ إلى مساءلة البنى الشكلية والأسلوبية ذاتها. فقد طرحت إيلين شوالتر مفهوم الـ (Showalter, 1977, p. 37) ما يعني أن، ما تكتبه المرأة بوصفه أدباً ذا خصائص ومميّزات مختلفة الجنس الاجتماعي يُشكّل ليس فقط المضمون بل الأسلوب والبنية السردية

### سابعاً: الدراسات الثقافية والرواية - من ستيفارت هول إلى هومي بابا

على الرغم من أهمية كل ما سبق، إلا أن ما يُعرف رسمياً بـ"الدراسات الثقافية" بوصفها حقلاً أكاديمياً مؤسساً قد أفرز إطاراً تحليلياً للرواية يختلف نوعاً ما عن الأطر السابقة. فبدلاً من الاقتصار على تحليل الأيديولوجيا أو الجنس أو الإمبريالية، يتناول هذا الحقل الرواية ضمن شبكة أوسع من الممارسات الثقافية والتمثيلات والهويات.

يُعدّ ستيفارت هول أحد أبرز مؤسسي هذا الحقل، وقد أسهمت نظريته في التمثيل والترميز وفكّ الترميز في توفير أدوات تحليلية قيّمة لقراءة الرواية. فالرواية—في هذا الإطار—ليست مجرد تعبير عن واقع أو أيديولوجيا (Hall, 1997, p. 28) بل هي "ممارسة تمثيلية" تُنتج المعنى وتُشكّل الهويات وتُعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية

وعلى مستوى آخر، قدّم هومي بابا مفاهيمه الشهيرة كـ"الهجنة" و"المكان الثالث" و"الكتابة الاستعمارية"، التي أثّرت تأثيراً عميقاً في قراءة روايات ما بعد الكولونيالية. يرى بابا أن هويات الشخصيات في روايات ما بعد الكولونيالية لا تقوم على ثنائيات صلبة كالأنا والآخر، بل على حالة من المراوغة والتمرحل والتشكّل المستمر (Bhabha, 1994, p. 37) «في» الفضاء الثالث

وفي السياق العربي، شكّل مشروع عبد الله إبراهيم النقدي في «الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة» (1992) محاولةً رائدة لاستيعاب هذه المناهج الثقافية وتوظيفها في قراءة الرواية العربية، مع الحرص على عدم الوقوع في فخ النقل الأعمى أو الخضوع للمرجعية الغربية (إبراهيم، 1992، ص. 89). كما أسهم صلاح فضل في مشروع النقد الواسع بتوليف الأسئلة الجمالية والثقافية، مؤكداً أن النقد الحقيقي هو ذلك الذي يُمسك بالخيطين معاً دون إهمال أيٍّ منهما (فضل، 1985، ص. 203)

### ثامناً: تمثيلات في النقد التطبيقي - قراءة الرواية العربية

لا يكتمل الحديث عن مسار نقد الرواية دون استحضار نماذج من النقد التطبيقي التي تُجسّد فعلياً التحول من الجمالي إلى الثقافي أو تُوفّق بينهما. وسنستحضر هنا عدة نماذج من الرواية العربية تكشف كيف التقى النقد بأسئلته الكبرى

تمثّل رواية نجيب محفوظ «الثلاثية» (1956-1957) نموذجاً خصباً يستجيب لأسئلة النقد الجمالي والثقافي معاً. فمن الناحية الجمالية، دُرست الثلاثية من منظور بنيتها السردية وأسلوب التصوير الواقعي وتقنيات الزمن والشخصية. ومن الناحية الثقافية، فُرئت بوصفها ملحمة تاريخية تُجسّد مسيرة المجتمع المصري في مواجهة الاستعمار والحداثة والتحوّلات الاجتماعية. وقد قدّم إدوارد الخراط في قراءته لهذه الرواية توليفاً بين المستويين، مُبيناً كيف أن البنية الزمنية للثلاثية هي في الوقت ذاته بنية اجتماعية-تاريخية (الخراط، 1989، ص. 145).

وعلى صعيد آخر، تُقدّم رواية الطاهر وطار «اللاز» (1974) نموذجاً للرواية الجزائرية المنخرطة في أسئلة الهوية والثورة والإرث الاستعماري. درسها باحثون من منطلقات مختلفة: فمنهم من انصبّ اهتمامه على بنيتها الفنية وعلاقة الفضاء الروائي بالتجربة الثورية، ومنهم من قرأها بوصفها نصاً يُعبّر عن التوتر بين الموروث الأيديولوجي القومي والتجربة الإنسانية المُعقّدة. وهذا التوتر النقدي ذاته يكشف عن الثراء الذي يُتيح توليف المقاربتين الجمالية والثقافية (بوجدرة، 1982، ص. 67).

وفي روايات إلياس خوري الكبرى ك«باب الشمس» (1998)، يجد الناقد نفسه أمام نص يستحيل تحليله بأدوات جمالية صرفة أو ثقافية صرفة. فالبنية السردية المتعددة الأصوات والزمن المتقطع والاستعارات المتشابهة—كلها عناصر جمالية—هي في الوقت نفسه تمثيلات ثقافية لتجربة اللجوء الفلسطيني والذاكرة المُجرّاة. وقد قرأ وضّاح شرارة هذا النص من منظور ذاكرة الشعوب والسرد الجماعي (شرارة، 2001، ص 89).

### تاسعاً: الأفق المعاصر - النقد الثقافي الجديد والرواية في عالم متحوّل

في العقود الأخيرة، شهد نقد الرواية تطوّراً لافتاً مع بروز مفاهيم ومقاربات جديدة تنهل من الدراسات الثقافية بوصفها (World Literature) وتثريها. ولعلّ أبرز ما يميّز هذه المرحلة هو تنامي الاهتمام بالعالمية الأدبية إطاراً لقراءة الرواية خارج حدودها القومية

(«يُعدّ فرانكو موريتي من أبرز منظّري هذا الحقل، إذ يطرح في كتابه «الأطلس الروائي Atlas of the European Novel» عام 1998 قراءة مقارنة للرواية الأوروبية تُوظّف الجغرافيا والخرائط أداة تحليلية)

وهذا مثال (Moretti, 1998, p. 70) لكشف بنى الفضاء الاجتماعي المضمرة في النصوص الروائية. بارز على كيف يمكن للنقد أن يُطوّر أدوات جديدة تجمع الجمالي والثقافي في إطار منهجي مبتكر. طرح أسئلة جذرية حول تمثيل (Posthumanism) وعلى صعيد آخر، أعادت النظريات ما بعد الإنسانية (Ecocriticism) الذات والجسد والتحوّلات التكنولوجية في الرواية المعاصرة. كما أسهمت النظريات البيئية في استقطاب الاهتمام بكيفية تمثيل الطبيعة والبيئة في الروايات، مُقدّمة قراءة ثقافية للأزمة البيئية من خلال الأدب.

وفي المشهد النقدي العربي الراهن، يبدو الجدل مستمراً بين توجّهين: الأول يُطالب بتطوير مناهج نقدية عربية خاصة تنبثق من الموروث الجمالي العربي، مستحضراً تراث الجرجاني والقرطاجني وابن خلدون. والثاني يرى أن الانخراط الجاد في المناهج النقدية العالمية هو الطريق الأسلم لتطوير نقد روائي عربي قادر على مجازاة العصر. ويتجلّى هذا الجدل في أعمال نقدية كثيرة، كتلك التي أصدرها محمد برادة في كتابه «الرواية العربية ورهانات التحوّل» (2006)، حيث يُحاجج بأن الرواية العربية المعاصرة تجاوزت نموذجها التقليدي وبانت تستدعي قراءات نقدية تُوفّق بين المحلي والكوني (برادة، 2006، ص. 34).

#### عاشراً: نحو نقد روائي متكامل – التوليف بين الجمالي والثقافي

بعد هذه الرحلة في مسارات نقد الرواية من الشكلانية الجمالية إلى الثقافية المنفتحة، تبرز حاجة ملحة إلى إعادة التفكير في العلاقة بين المنحيين لا بوصفها علاقة تعارض بل علاقة تكامل وتوتر منتج. فالرواية الكبرى لا تنجح في تحقيق قيمتها الفنية رغم تضمّنها أبعاداً ثقافية، بل بسببها وعبرها. يكتب دبليو. جي. سيبالد في ملاحظاته المتناثرة عن الكتابة ما يُعبّر عن هذا التوتر المُثمر: إن الكتابة الروائية الحقيقية لا تهدف إلى مجرد تسلية القارئ أو إثارة مشاعره، بل إلى توسيع مداركه وتغيير طريقة نظره إلى العالم. (Sebald, 2001, p. 82).

وهذا ما يُؤكّد عليه ماريو فارغاس يوسا بطريقة مختلفة حين يرى أن الرواية—بوصفها خيالاً—تُحقّق ما لا تستطيع أي وثيقة تاريخية أو اجتماعية تحقيقه: أنها تُضيء الحياة الداخلية للأفراد وتُعرّفنا بألية عمل دوافعهم وتناقضاتهم وأوهامهم. يكتب: «الحياة الحقيقية أفقر مما يُوحى به الخيال؛ فالرواية تُغنينا بتجارب لم نعشها» (Vargas Llosa, 2011, p. 16).

إن الناقد المُجيد هو ذلك الذي يجمع بين مهارتين متلازمتين: مهارة التحليل الجمالي الدقيق القادر على الإمساك بتقنيات النص وبنيته وأسلوبيته، ومهارة التفسير الثقافي الواعي بالسياقات والأيديولوجيات والتمثيلات. وعلى هذا النحو، لا يختزل النقد الجيد الرواية في مجرد وثيقة اجتماعية، ولا يُعاملها مجرد لعبة لغوية منغلقة

على ذاتها، بل يُعاملها بوصفها ما هي عليه فعلاً: خطاباً إنسانياً مُركَّباً يُوثِّق التجربة الإنسانية بأبعادها الجمالية والأخلاقية والثقافية في آنٍ واحد.

### خاتمة

إن الرحلة من نقد الرواية الجمالي إلى النقد الثقافي ليست رحلة نهاية أو إلغاء، بل رحلة تراكم وتوسيع وإعادة صياغة. فالأسئلة الجمالية التي طرحها هنري جيمس ولوبوك والشكلانيون الروس لم تُهمل، بل أُعيدت قراءتها وإعادة توظيفها في سياقات ثقافية أشمل. وباختين—وإن كان منطلقه اجتماعياً—لم يتخلَّ عن التحليل الأسلوبي الدقيق. وإيغلتن يُعالج السياسة من خلال الشكل لا على حساب الشكل.

وفي السياق العربي، تواجه الدراسات النقدية تحدياً مزدوجاً: استيعاب هذه المناهج النقدية العالمية وتوظيفها بطريقة خلاقية، وفي الوقت نفسه الانطلاق من الموروث النقدي العربي والاستجابة لخصوصية التجربة الروائية العربية في زمن التحولات الكبرى. وهذا التحدي بالذات—حين يُواجه بصدق نقدي وعمق معرفي—هو الذي يجعل نقد الرواية العربية ممارسةً ثقافيةً حيّة لا مجرد أكاديمية باردة.

إن مستقبل نقد الرواية—سواء في الحقل النظري الغربي أو في السياق العربي—يبدو في أيدي أولئك النقاد القادرين على الجمع بين الوعي الجمالي العميق والبصيرة الثقافية الحادة، مُستحضرين الرواية بوصفها ما (Kundera, 1988, «قالت عنه ميلان كونديرا: «الفضاء الذي لا تزال فيه الشخصية الإنسانية تُقيم وتتنفّس p. 28).

### قائمة المراجع والمصادر

#### أولاً: المراجع العربية

- إبراهيم، عبد الله. (1992). الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة. المركز الثقافي العربي
- الخراط، إدوارد. (1989). محاولات في النقد التطبيقي. الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الخطيبي، عبد الكبير. (1983). المغرب العربي الهامشي. دار العودة
- العالم، محمود أمين، وأنيس، عبد العظيم. (1955). في الثقافة المصرية. دار الثقافة الجديدة
- العيد، يمنى. (1990). الكاتب والمنفى: دراسات في السرد العربي الحديث. دار الآداب
- بريدة، محمد. (2006). الرواية العربية ورهانات التحول. دار الفارابي
- بوجدر، رشيد. (1982). دراسات في الرواية الجزائرية. منشورات الاختلاف



- حقي، يحيى. (1955). فجر القصة المصرية. الهيئة المصرية العامة للكتاب
- شرارة، وضّاح. (2001). دولة حزب الله: لبنان مجتمعاً إسلامياً. دار النهار
- طه بدر، عبد المحسن. (1963). تطور الرواية العربية الحديثة في مصر. دار المعارف
- فضل، صلاح. (1985). نظرية البنائية في النقد الأدبي. دار الشؤون الثقافية العامة
- النقاش، فريدة. (1988). المرأة في الرواية العربية: قراءة في التمثيلات. دار المستقبل العربي

#### ثانياً: المراجع الأجنبية

- Bakhtin, M. M. (1981). *The dialogic imagination: Four essays* (C. Emerson & M. Holquist, Trans.). University of Texas Press.
- Bakhtin, M. M. (1984). *Problems of Dostoevsky's poetics* (C. Emerson, Ed. & Trans.). University of Minnesota Press.
- Bhabha, H. K. (1994). *The location of culture*. Routledge.
- Eagleton, T. (1976). *Criticism and ideology: A study in Marxist literary theory*. New Left Books.
- Gilbert, S. M., & Gubar, S. (1979). *The madwoman in the attic: The woman writer and the nineteenth-century literary imagination*. Yale University Press.
- Hall, S. (Ed.). (1997). *Representation: Cultural representations and signifying practices*. Sage Publications.
- James, H. (1908). Preface to *The portrait of a lady*. In *The novels and tales of Henry James* (Vol. 3). Charles Scribner's Sons.
- Jameson, F. (1981). *The political unconscious: Narrative as a socially symbolic act*. Cornell University Press.
- Kundera, M. (1988). *The art of the novel* (L. Asher, Trans.). Grove Press.
- Lubbock, P. (1921). *The craft of fiction*. Jonathan Cape.
- Lukács, G. (1971). *The theory of the novel* (A. Bostock, Trans.). MIT Press. (Original work published 1920)
- Moretti, F. (1998). *Atlas of the European novel: 1800–1900*. Verso.
- Said, E. W. (1978). *Orientalism*. Pantheon Books.



- Said, E. W. (1993). *Culture and imperialism*. Alfred A. Knopf.
- Sebald, W. G. (2001). *Austerlitz* (A. Bell, Trans.). Random House.
- Showalter, E. (1977). *A literature of their own: British women novelists from Brontë to Lessing*. Princeton University Press.
- Shklovsky, V. (1965). *Art as technique* (L. T. Lemon & M. J. Reis, Trans.). In L. T. Lemon & M. J. Reis (Eds.), *Russian formalist criticism: Four essays* (pp. 3–24). University of Nebraska Press. (Original work published 1917)
- Vargas Llosa, M. (2011). *In praise of reading and fiction: The Nobel lecture* (N. Wimmer, Trans.). Farrar, Straus and Giroux.